Issue No.3421 May 28-2010

«الارمن والبحث عن ملجأ: ١٩١٧ - ١٩٣٩» كتاب يؤرخ لمسيرة شعب

من الخيمة الى الحضارة في حفاظ على القضية

كتبت نهاد طوباليان

حين تكون الذاكرة الجماعية قوية وحية، تبقى القضية حية. والشعوب التي تحفظ ذاكرتها، يبقى تاريخها ماثلا في الوجدان والضمير. ومع مرور عامل الزمن في مثل هذه الحالة لا يسقط حق وراءه مطالب. هذا هو واقع الحال مع الذاكرة الارمنية وشعبها. شعب مرّ على قضيته ومآسيها ما يقارب زهاء قرن، ولا يزال يشعر ويتصرف وكأن المجازر التي ارتكبت بحق الاجداد وقعت اليوم. ذاكرة تنبض بالحياة، وان معطوفة على المآسي وذيولها، تنبت تأريخا لها لابقاء الصوت حاضرا بقوة في المحافل الدولية.

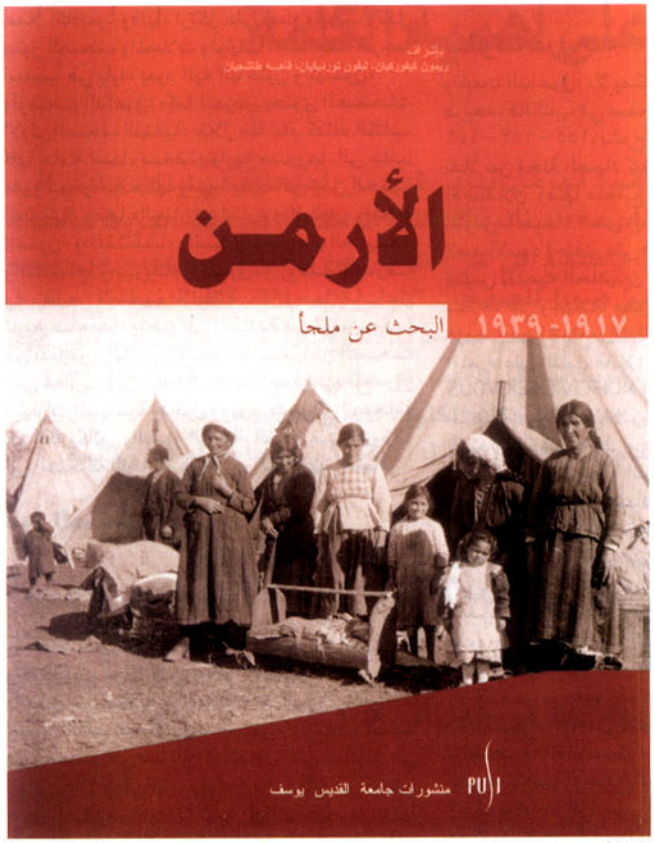

الغلاف

والاهم ما يروي بالكلمة والصورة الحيين نبض شعب كانت له ارض وجذور وتاريخ ضارب بعمقها، فاضطرته المجازر للسير على دروب الهجرة القسرية القاتلة، بمن افلت من براثن القتل الهمجي، ليختبر مرارة البحث عن ملجأ في الشتات، بدايتها كانت في الخيم، ومنها الى حضارة العيش الكريم، من دون ان يسقطوا قضيتهم من الضمير.

هو واقع الشعب الارمني، واقع خبرته المجتمعات والبلدان التي حلوا بها. شعب بذاكرة حية، يعيش نبض قضيته من دون خجل، في يومياته وتفاصيل حياته. ذاكرة يضعها بتصرف الشعوب للعبرة. وهو اليوم، كما في السابق، يطل بقضيته في كتاب من منشورات جامعة القديس يوسف بعنوان «الارمن: البحث عن ملجأ ١٩١٧ - ١٩٣٩». في نسخته العربية، بعد صدوره قبل سنوات باللغة الفرنسية، باشراف ريمون كيفوركيان، وليفون نورديكيان وفاهي طاشجيان. فيما الترجمة الى العربية تحمل توقيع جوزف كالوستيان. ويشكل هذا الكتاب الذي جاءت ترجمته بمبادرة من الهيئة الوطنية الارمنية في الشرق الاوسط، بمثابة المصدر الاساسي الذي يوثق بالنص والصورة لمراحل هجرة الارمن، الناجين من الابادة الجماعية، وكيفية اعادة بناء العالم الارمني في الشتات، ولا سيما في لبنان. و«الارمن: البحث عن ملجأ ١٩١٧ - ١٩٣٩» الذي وضع له مقدمة الاب اليسوعي سليم عبو، يتناول فيها عمليات تكيف الارمن مع المجتمع المضيف واندماجه ببنيته السياسية والاقتصادية والمشاركة في ثقافته، يحمل في مقدمته ايضا مقدمة لرئيس الجمعية الخيرية العمومية الارمنية برج ستراكيان، واخرى من توقيع كريستين بابكيان عساف ومي سمعان سنيوري، رئيستي دائرة التاريخ في كلية الاداب والعلوم الانسانية في جامعة القديس يوسف، الى كلمة للهيئة الوطنية الارمنية في الشرق الاوسط.

اما من حيث مضمون الكتاب، وما ترفل به صفحاته، تناوب على كتابتها وفق موضوعاتها عدد من الباحثين في شؤون التاريخ الارمني، فيقع في ثلاثة فصول. الفصل الاول ويحمل عنوان «سياق تاريخي وتحركات سكانية»، وفيه يسلط الضوء ريمون كيفوركيان على اصول الجماعات الارمنية في الشرق الاوسط: الناجون من الإبادة الجماعية، فيما يتناول فاهي طاشجيان موضوع «من إعادة المهجرين الى ديارهم في كيليكيا الى الهجرة الجماعية الجديدة باتجاه سوريا ولبنان». اما الفصل الثاني، وتحت عنوان «الخطوات الاولى في اعادة بناء العالم الارمني»، تنضوي سلسلة من الدراسات التي تتناول «النساء والاطفال في صلب اعادة بناء امة: العمل ومفارقاته»، «المياتم الارمنية في لبنان وسوريا وفلسطين»، و«اقامة المؤسسات الارمنية في لبنان وسوريا: اللاجئون والدولة»، و«من مخيمات لاجئين الى احياء حضرية»، و«ارمن السنجق من الإبادة الجماعية الى الهجرة الجماعية»، و«بيروت في مواجهة اسكان اللاجئين الارمن ابان العشرينات: حدود الضيافة»، و«اليسوعيون شهود على المأساة الارمنية، وارمنيات معان: بين الذاكرة والنسيان».

اما الفصل الثالث «اللاجئون في حياتهم اليومية»، فيتناول في ابوابه، عناوين «بحث عن مكان: اندماج الارمن الاقتصادي في لبنان»، و«استئناف التقليد المدرسي: المدرسة والهوية القوميتان»، و«من جبل موسى الى عنجر: إعادة ايواء الارمن»، و«ديران بابكيان: مسيرة ارمني من كيليكيا لجأ الى لبنان».

ومن كل هذه العناوين المجتمعة، تخرج القضية الارمنية بكل ابعادها التاريخية والجغرافية والسياسية والثقافية والاجتماعية، والاهم في هويتها القومية. فهذا الكتاب الذي يعتبر مرجعا لكل باحث عن سير الارمن على دروب الهجرة وكيفية تطوير مجتمعاتهم واندمامجهم في حياتهم الاجتماعية، هذا الكتاب يسلط الضوء على حقبة تاريخية تعتبر الاهم في مسيرة الارمن. ذلك ان «الارمن والبحث عن ملجأ» يتناول كيفية اقتلاعهم من جذورهم في الوطن الام، وحلولهم في بلدان، والاهم، كيفية اندماجهم في نسيجها الاجتماعي والسياسي بعدما فقدوا الامل بالعودة الى ديارهم.

فمن الكلمة والصور النادرة، سرد لسعي الارمن وراء لقمة العيش في حياة واقعية فرضت عليهم، في بيئة غريبة عنهم، وكيفية انتقالهم من الخيمة بكدهم واجتهادهم الى حياة مدنية راقية، مستخدمين مهاراتهم في الاعمال الحرفية والصناعات الصغيرة، فبلغوا عبر مرّ السنين اعلى المراتب في عالم الصناعة والتجارة، وما تركوا ويتركون من بصمات مميزة تعرف عنهم اينما حلوا.

«الارمن والبحث عن ملجأ: ١٩١٧ - ١٩٣٩»، كتاب يختصر قصة شعب قضيته ماثلة لليوم في ذاكرته، ما جعلها قضية حية حاضرة على المنابر الدولية... وشهداؤه ينظرون من حيث هم الى من يبقي شعلة الذاكرة مضاءة طلبا لعدالة تعيد الاعتبار الى من سفكت دماؤهم هدرا من العزل اطفالا ورضعا ونساء وشيوخا.■

Select info S.A.L.
"Only Your Selected Information"